صعوبات وعوائق في ترجمة النصوص من وإلى اللغات الأجنبية؛ في السياق العربي الإسلامي

تمهيد:

المتأمل في تاريخ الأمم والشعوب والحضارات المختلفة، يجد تعددا لغويا بينها؛ اقتضته الحكمة الربانية، ومن منن شريعة السماء عليها، هي أن جعلت سبلاً وطرائق للتفاهم بينها، ولعل أهمها نقل النصوص وترجمتها وذلك بغية الوقوف على معنى ما كتبه وخطه صاحب النص الأصلي. ولأن الترجمة تطورت كثيرًا في عصرنا المعاصر بالخصوص، ومع ذلك نشهد صعوبات وعوائق جمة في فعل الترجمة في السياق العربي الإسلامي، وهو ما يدفعنا لطرح التساؤل التالي: كيف يمكننا تلافي هذه الصعوبات والعوائق للوصول بالمترجم العربي إلى ترجمة راقية للنصوص؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه بين ثنايا موضوعنا هذا المتواضع.

1- لمحة تاريخية موجزة حول الترجمة:

لقد كانت الترجمة ظاهرة ملازمة لتاريخ الإنسان، وستستمر، وهي تنطلق أساسا من الرغبة في التواصل بين بني البشر؛ حيث شعر الإنسان على مر العصور المختلفة بحتمية التواصل اللغوي، ومن ثم كان اهتمام الأمم القديمة بالترجمة كوسيلة للوقوف على معارف الغير وفهمها، وكقاعدة صلبة لصنع التفوق الحضاري، فكانت الحضارة البابلية على عهد حمو رابي حوالي 1200 ق.م وفي أوج عطائها الفكري، قد استلهمت الوافدين إليها لترجمة نصوص "الألواح الإثني عشر"، كما ترجمت "أوديسة هوميروس" كأرقى ما أنتجت الحضارة اليونانية إلى اللاتينية حوالي 240 ق.م.

كما أولت الصين؛ كواحدة من أهم البلدان التي مثلت الحضارة الشرقية قديمًا، وبقيت تحمل تلك القيم الحضارية والمعاني الإنسانية السامية، أهمية كبيرة للمترجم في القرن الحادي عشر للميلاد.

وفي سياق الحضارة العربية الإسلامية أولى الأمويون اهتماما بالغا للترجمة، فاهتموا بترجمة كتب الفلك والطب والكيمياء، وبلغت الترجمة أوجها في العصر العباسي وبالخصوص مع إنشاء "بيت الحكمة" في عهد الخليفة المأمون 813-833 للهجرة، أما في القرن الثاني والثالث عشر للميلاد فقد كانت إسبانيا مركزًا مهما من مراكز العلم؛ فترجمت الكتب العلمية العربية إلى اللاتينية والقشتالية.

وفي القرن التاسع عشر احتلت الترجمة مكانة بارزة عند محمد علي في مشروعه التحديثي.

ومع مطلع القرن العشرين خطت العلوم المختلفة خطوات جبارة ومعها الترجمة؛ تزامن ذلك مع الثورات العلمية في مختلف الميادين والمجالات، وما أعقبها بعد ذلك من تطور مذهل في تكنولوجيات الإعلام والاتصال[1].

وما يمكن قوله من خلال هذه اللمحة التاريخية الموجزة حول الترجمة؛ أن الترجمة أصبحت علمًا قائما بذاته " Translation science "[2].

2- ماذا نقصد بالمترجم؟

يعتبر « المترجم كاتب»[3] وبتعبير مُبسط كاتب ثاني للنص؛ ويتمثل عمله في إيصال معنى النص الأصلي بلغة غير التي كتب بها للمتلقي القارئ له، فالفرق بينه وبين الكاتب

---

[1] بلقاسمي حفيظة، **إشكالية الترجمة التقنية: أداة الاستعمال – دراسة تطبيقية -**. (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الترجمة. كلية الآداب، اللغات والفنون. جامعة السانيا. وهران – الجزائر. 2009/2008). ص من 9 إلى 12.

[2] Daniel Newman, **Arabic-English Thematic Lexicon**. 1st publiished (Usa and Canada: Routledge. 2007). P 85.

[3] محمد عناني، **فن الترجمة**. ط 5. (مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان. 2000). ص 5.

الأول أو الأصلي، يكمن في أن الأفكار التي سيصوغها ليست أفكاره بل لغيره، وهذا لا يحط من شأن المترجم كما هو متداول عند البعض، الذين لا يفهمون معنى الترجمة الحقيقية؛ فنقل أفكار الغير والتعبير عنها يعتبر عملية عسيرة بالمقارنة مع آراء المترجم المتبناة.

فالكاتب الأصلي يجد تطويعًا في اللغة التي يكتب بها، والتي تلائم أفكاره، « أما المترجم فهو محروم من هذه... الحرية الفكرية؛ لأنه مقيد بنص تمتَّع فيه صاحبه بهذا الحق من قبل»[4]، فهو مطالب بحفظ الأمانة في ترجمته للنص الأصلي، ومع ذلك فهو مطالب في الوقت نفسه بأن يخرج للقارئ نصًا، بلغة أخرى كالعربية إذا كان النص بلغة أجنبية؛ نصًا يوحي له بأنه كتب أصلا باللغة العربية، « ولا يستهينَنَّ أحد بما ذكرته في هذا الصدد من ضرورة الإحاطة بالمعلومات العامة؛ فالكلمات معلومات، واللغة أفكار. والمترجم اليوم يتعامل مع لغة الحضارة»[5]، وهي لغة تعمقت وتشعبت وأصبح الإلمام بها ليس في المتناول[6].

3- أنواع الترجمة:

يجعل طه عبد الرحمٰن الترجمة من بين الركائز الأساسية التي تبنى وتقوم عليها الفلسفة، ويقسمها إلى:

1- الترجمة التحصيلية: وهي التي ينبهنا طه عبد الرحمن إلى وجوب ترك العمل بها ما أمكن ذلك؛ فهي نقل تحصيلي، « يقع في تطويل العبارة بالقدر الذي يُبَعِّد طريق الفهم على المتلقي، فضلا عن أن جوانب من منقوله قد تصادم ما نشأ عليه هذا المتلقي من الإعتقادات الراسخة في مجاله التداولي»[7].

---

[4] محمد عناني، **فن الترجمة**. ص 5-6-7.

[5] نفسه، ص 7.

[6] نفسه، ص 7-8.

[7] طه عبد الرحمن، **فقه الفلسفة 1: الفلسفة والترجمة**. (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. 1995). ص ص 507-510.

2- الترجمة التوصيلية: وهي كذلك نقل « يقع في تهويل المعرفة بالقدر الذي يوعر طريق الإنتاج الفلسفي على المتلقي، فضلا عن أن جوانب من منقوله قد تصادم ما حصَّل هذا المتلقي من معارف مشتركة بين أهل مجاله التداولي على الأقل»[8].

3- الترجمة التأصيلية: وهي التي يدعونا طه عبد الرحمن بوجوب العمل بها ما أمكن ذلك، والنقل التأصيلي « لا ينقل من النص الأصلي إلا ما يناسب الأصول التداولية التي يأخذ بها المتلقي، موليا أبلغ عنايته لما جاء به من عناصر يتجلى فيها كمال التفلسف، ومتبعا طريق الاختصار في العبارة ما لم يقم الدليل على الحاجة إلى إشباع الكلام في موضع من المواضع»[9].

خاتمة: فهل نحن في المستوى المطلوب؟

وصفوة القول بأن الترجمة فعل إنساني حضاري؛ تهدف للتواصل بين بني البشر، يبقى على المترجم العربي المُسلم بالخصوص، أن يكون أمينًا في نقله للنص الذي يريد ترجمته للسياق العربي الإسلامي؛ والذي يحمل من الخصوصيات الثقافية الإيجابية، ما يجعله منفتحًا على كل ما هو مشترك إنساني، ولم لا ترجمته – أي المترجم العربي المُسلم – لنص باللغة العربية للغات أجنبية أخرى، فعليه أن يختار من السبل الكفيلة بجعله يرقى بفعل الترجمة إلى مستوى الإبداع الفلسفي. والله أعلم.

[8] طه عبد الرحمن، **فقه الفلسفة 1: الفلسفة والترجمة**. ص 510.

[9] نفسه، الصفحة نفسها.

المراجع:

1- طه عبد الرحمن، **فقه الفلسفة 1: الفلسفة والترجمة.** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. 1995).

2- محمد عناني، **فن الترجمة.** ط 5. (مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان. 2000).

3- بلقاسمي حفيظة، **إشكالية الترجمة التقنية: أداة الاستعمال – دراسة تطبيقية -**. (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الترجمة. كلية الآداب، اللغات والفنون. جامعة السانيا. وهران – الجزائر. 2009/2008).

4- Daniel Newman, **Arabic-English Thematic Lexicon**. 1st publiished (Usa and Canada: Routledge. 2007).